

ملاحم الرّدّ الأميركي على روسيا في الحرب على الإرهاب

■ **حميدي العبدالله**

يتساءل كثيرون عن ماهية الرّدّ الأميركي على إسهام روسيا في الحرب على الإرهاب إلى جانب الجيش السوري، بل ثمةٌ من يعتقد أنّ الولايات المتحدة أو شركاءها الغربيين لن يقفوا مكتوفي الأيدي أمام هذا التحوّّل غير المسبوق في العلاقات الدولية في منطقة الشرق الأوسط، ذلك أنّ هذه هي المرة الأولى التي يسهم فيها الجيش الروسي في حرب في هذه المنطقة، وزادت هذه التساؤلات بعد كشف النقاب عن اختراق طائرات حربية روسية أكثر من مرة الأجواء التركية والتحذيرات التي صدرت عن قيادة حلف الناتو.

واضح أنّ من يعتقد أنّ الولايات المتحدة وحلف الناتو بصدد التصدي العسكري المباشر لروسيا فهو مخطئ؛ لأسباب عديدة أبرزها: أولاً، لكفة أيّ مواجهة وخطرها الذي قد يتحوّل إلى حرب عالمية ثالثة ليس هناك أيّ شعب مستعدّ أساليب أخرى للمواجهة، من قتلها، حتى وإن كان هناك بعض المغامرين الذين قد لا يخشون عواقب مثل هذا الخيار. ثانياً أنّ روسيا دولة رأسمالية وهي تختلف في الالتحاق السوفياتي الشيوعي الذي كان يهدّد جميع الأنظمة الرأسمالية في الغرب. اليوم روسيا لديها مصالح مع الدول الغربية ومع دول المنطقة، ولهذا المصالح تآثّر على سقف الترقعات بشأن الإنزلاق إلى حرب شاملة. وثالثاً، الولايات المتحدة شنت أكثر من مرة حرب، منها ضدّ الإرهاب مثل التحالف الحالي ضدّ «داعش»، ومنها ضدّ دول مستقلة مثل العراق وأفغانستان، وبالتالي سجلت سابقة تضعها في موقع لا يتيح لها الاحتجاج على أيّ عمل مماثل.

إذا كانت المواجهة المباشرة والشاملة معتذرة، بل مستحيلة، فهذا لا يعني أنه ليس لدى الولايات المتحدة أساليب أخرى للمواجهة، من بينها شيطنة التدخل الروسي، عبر الزعم بأنّه يستهدف المدنيين والمعارضة المعتدلة ولا يستهدف تنظيم «داعش»، وهذا ما ركّزت عليه تصريحات المسؤولين الأميركيين، الأمر الذي استدعى رداً من القيادة الروسية ومن الخارجية الروسية، بغنّد هذه المزاعم ويؤكد أنّ الطيران الروسي لا يستهدف المدنيين ولا المعارضة المعتدلة، إذا وجدت، ولكنه أيضاً لا يحصر ضرباته، كما تطلب صراحة الحكومات الغربية، وبداعش، بل يستهدف جميع المنظمات المصنفة إرهابية من قبل مجلس الأمن والحكومات الغربية. كما أنه يدعم الجيش السوري في حربته على الإرهاب.

والأرجح أنّ رّدّ الولايات المتحدة لن يقتصر على شيطنة الإسهام الروسي في الحرب على الإرهاب بل إنه قد يتعدّى ذلك إلى تسهيل تدفق الإرهابيين إلى سورية، ومُدّمج بالسلاح، في محاولة لإفشال ومنع روسيا من تحقيق نجاحات في حربها على الإرهاب تشكل أداة للفشل والعجز الغربي في حملته على «داعش» وتأكيد تحذيرات المسؤولين الأميركيين من فشل التدخل الروسي في سورية. أكثر من ذلك لا يوجد ردّ أميركي لأنّ من شأن تجاوز هذا السقف أنّ يقود إلى عواقب وخيمة على الجميع.

تطوّر سريع في الميدان السوري وعناصر الجيش أكثر ثقة

تبدو العمليات الروسية العسكرية في سورية محور العمليات العسكرية في الشرق الأوسط، وهي أول مؤشرات التغيير الدولي تجاه مكافحة الإرهاب من جهة، ومن جهة أخرى ثبات الدولة السورية بقيادتها ورئيسها وجيشها وشعبها. واليوم يقفّ الاتحاد الأوروبي وعبر مسؤولة السياسة الخارجية في الاتحاد الأوروبي فيديريكا مويرييني، التي دعت إلى أن يكون الاتصال بالرئيس الأسد عبر الأمم المتحدة، في حين كرر وزير خارجية إسبانيا وجهة نظر بلاده، بأنّ الغرب سيحتاج إلى التفاوض مع الأسد لتحقيق الاستقرار في سورية.

الافتّت أنّ المواقف الدولية المتتالية التي تحدّثت عن القبول بمرحلة انتقالية بقيادة الأسد جاءت قبل التخلي الروسي بأسابيع، وبالتالي فإنّ المفاجأة الروسية بانحيتها السريعة بالدخول العسكري في أخذ الأمور على عاتقها، وبالرغم من القلق الذي أفرده في المنطقة بتدخلها العسكري، إلا أنه يعتبر ضمانة حلّ سياسي أنّ ترعى روسيا فيه موقف الأسد

وتساهم بفعالية بحدّ الأزمة.

أمّا ميدانها فقد التقدّم العسكري السوري على الأرض بدأ يأخذ أوسع مدى، فالمعلومات تشير إلى تقدّم ملحوظ على الجبهات كافة، منذ بدء العمليات العسكرية الروسية. وعلى ما يبدو أنّ الخطة الروسية ستدهام الغرب والعرب بمعاذلة أنّ لا شيء للنقاش إلا الحرب على «داعش» بفترة قريبة جداً بعد انتصارها على «جبهة النصرة» التي تعتبر صلة وصل استخبارات المنطقة والجهة الأكثر ارتباطاً بالسلطات المجاورة. وهي الحافة الأخطر سياسيا لما جرى من أجها من محاولات لشرعتها في المجال الدولي. أبرز زهادي الكونغرس الأمريكي، وهي اليوم الجبهة المنضوية تحت أوية المعارضة السورية وليس الإرهابية، كما تصنفها وسائل إعلام السعودية رسمياً، وبالتالي فإنّ خطوة «المنصرة» تكمن في تركها ورقة عسكرية وحيدة البيست ثوب السياسة وانتقلت إلى طاولة المفاوضات ليبقى فقط ملف «داعش» المتفق عليه دولياً بوجود القضاء عليه.

تملك «جبهة النصرة» ثلاث خلفيات: أولاً الخلفية التركية، ثانياً الخلفية الأردنية من جهة درعا، وثالثاً الخلفية «إسرائيلية» من جهة القنيطرة... الجبهة «الإسرائيلية» لا تمنع فرصة توسيع، أما الأردنية فتلا تتصل مواجهة بانسحاب تركيا، أما أنقرة أو الجهة التركية فيستحيل تحركها بدون غطاءٍ طلّسي لاستكمال الطريق، فكيف إذا أصبح تسربيد المسلحين عبر الحدود أصعب في ظل كثافة المحصور الجوي الروسي؟

التقدّم العسكري السوري الميداني يتقدم بسرعة وبحقّق إنجازات أكبر في كل ساعة، هنا مع ما يؤكده مطلقون على سير المعارك. وهو يندرج تحت أهمية خاصة مفادها أنه منذ دخول الجيش الروسي إلى محور العمليات واعد الضحايا بالجيش السوري إلى تقلص. هذا ما سيسيطر زحماً أكبر ومعنويات أكثر تنعكس على إقدام الجيش وثقته بالنصر واقتربه منه في كل يوم أكثر من الذي سبقه، هذا كله بالإضافة إلى الثقة التي მიხტلر روسيا لديها عندما يقابلها معه جنباً إلى جنب باعتبارها جيشاً قادراً على أخذ المهامت الصعبة على عاتقه من منطلق تحالفه مع جيش منظم، ليس من باب الوصاية إنما من باب التعاون. وقد لفت خبير أمني في هذا الإطار إلى أنّ مجمل «اداتا» المعلومات التي جمعها الجيش السوري قد أصبحت بيد الجيش الروسي لتسريع الضربات والانتجازات أيضاً.

تركيا الانتخائية

–شكل استحقاق أول تشرين أول مفصل في تطورات المنطقة والعالم، لأنه موعد الحفل في أوكراينا، وقد صار موعد التوضوع الروسي في سورية. –في الأول من تشرين الثاني موعد سيمسير استحقاق إقليميا ودوليا هو الانتخابات النيابية المعادة في تركيا بعد فشل الانتخابات الأخيرة قبل شهر من استيلاء حكومة.

نتائج الانتخابات التركية ستكون أحد ثلاثة... إما تكرار النتيجة الحالية القائمة على عدم امتلاك أي فريق أغلبية تسمح له بتشكيل حكومة، أو فوز حزب الغنائى أردوغان وأوغلو، أو فوز الفريق المعارض بالأغلبية. –فرضية فوز أردوغان وأوغلو كانت تتوقف على نجاحها في مشروع المنطقة العازلة في سورية، وقد تبخّر المشروع بالرفض الألماني الأميركي، وتوجّه سباحت البارتوتوب، وصار مزحة بعد التواجد الروسي شمال سورية. –فرضية ثالثة لفوز أردوغان وأوغلو وهي التمكن من سحق الكردية المسلحة والبشط بقادتها السياسيين، وقد تبخّرت مع التمسك الغربي بدور لاأكار.

–في حال توازن القوى، كما هي حال اليوم، تكون حكومة جامعة للمنماتقصات فقصير حكومة اللاسياسة وتوتولي إدارة الأزمة.

–إذا فزات المعارضة تنقلب تركيا وسياستها في المنطقة.

التعليق السياسي

■ **محمد ح. الحاج**

لحاجةٍ لنا إلى التذكير بأنّ تنظيم «الإخوان

المسلمين» صناعة بريطانية، وأنّ الغاية في البداية كانت حماية نظام فاروق والتحالف مع آل سعود، وحتى يكونوا أداة فاعلة كان لا بد من سكرتهم فانشأوا جناحهم العسكري المعروف الذي وقف عكس التيار فخاربو عبد الناصر والانظمة التحزبية العربية حينما وجدوا... ما كان الدين غاية وإنما وسيلة للتستر خلفها واستقطاب بسطاء المتدينين في العالم العربي باعتبار الدين نقطة الحساسية والاشارة العاطفية... وما زالوا.

الاحتلال الاجنبي لأيّ من الاطوار العربية لا يحرك مشاعر النخوة عند «الإخوان»، غايةيهم الوصول إلى السلطة حينما أمكن ولإستمرار تبعيتهم للغرب الذي انشأهم ومؤلمهم، بل يحاربوا على أية جبهة قامت بها ثورة تحزبية، للأمم أنتم على مذنب مؤوليهم آل سعود الذين تعهدوا بحماية اليهود حتى تصبح الساعة وما كانت فلسطين تعني لهم شيئا.

جزيرة العرب بكل ممالكها وإماراتها ومشخاتها الحربية المسلمة وما نالت من الاستقلال سوى الائمة، مع ذلك لم يبتؤوا ولم تتحرك الجيمية في رؤوسهم وما كان الجهاد فرضا أبدا، انتداب حقيقتي للغرب، ووصاية، ونهب وقواعد في كل البلاد التي لا يوجد فيها غير الإسلام المحمدي، مع ذلك لم نسمع عن دعوة لنصرة الدين أو غصبة لوجه الله، هم، وحينما وجدوا أنصار للإسلام بدانع شتّى، منها الخروج على الدين وكتائبهم الأولية الأوصياء أو أنّ الله استخلفهم في الأرض وتنازل لهم عن صلاحيتها، يرفقون الأرواح ويصادرون الثروات والنسل، وقوازي شيوخهم وكنهتهم همرا لأهمل ضدّ طامح ليس ضدّ معتصب أو محتل وإنما ضدّ طامح للتحزّر والخلاص من التبعية، وقد افقروا

البناء

«الإخوان الماسويـ مسلمين» وسقوط آخر أوراق التوت...

من قال إنهم مجرد فرع لأخوية الماسون العالمية، فيما هم يطبّقون تعاليمها ويحققون غاياتها ومشاريعها.

هم في بلاد العربان كما في الهند والنسند والإفغان وعُدوم اللدود الحضارة والتقدم وحركات التحزّر من ربةقة التبعية للغرب، تجار ديين يتمكنون من الخبرة ما يكفي لإعجاز نظمنة التجارة العالمية، فصاحة في الخطاية والتلاعب بالكلام يحرفونه عن موضعه فيخدعون البسطاء.

أرض الحرمين الشريفين يحتلها الأميركي منذ أكثر من نصف قرن، يقيم فيها قواعد وسفكره، وتتطلق منها اعتدائه، وما استفاق عندهم ضمير، كذلك في باقي الدوليات والمشيخيات والإسارات، غير سموح لعربي أو أعرابي أن يدخل حيث وجود «الخواجات»، حاربوا الروسي في بلاد الأفغان لأنّ تلك كانت مشيئة العم سام، وعندما احتل العم سام تلك البلاد لمأربه وغاياتهم وإمنته القومي واقتصاد «بلعوا ألسنتهم»، بل كانوا من أخلص الخدام، أما في بلد الحرب الثالث مسرى النبي محمد ومهد السميع، حيث يدوس اليهودي كرامتهم، ويستخف بمقدساتهم، ويقتل أبناء دينهم، كل ذلك لا يستدعي غضبة ووقفة نصرة لله، كيف ذلك؟ لا عجب طالما هم في تحالف وتيق مع ساداتهم أخفاذ مرديخان بي سعودي، وهل يجرؤون، وهنا لا علاقة لوقفة حماس بآدين ثرورات، وقواعد في كل البلاد التي لا يوجد فيها غير الإسلام المحمدي، مع ذلك لم نسمع عن دعوة لنصرة الدين أو غضبة لوجه الله،

أصبحوا يقبضون على الجمر، ينتظرون لحظة يعترف كيان العدو بهم حكومة شرعية في غزة ليقولوا لمحمود عباس وأهل الضفة: انهبوا واقتلوا، أنتم وريكم إنا هنا قاعدون (هذا جوهر المشروع السعودي وخصلاسته، الضفة مملكة يهودا الخرافية).

أميركا ومنذ عقود تحاول ابتلاع المنطقة وترويضها، بعد افغانسنان احتلت العراق، قتلت مئات الألوف من أبنائه وكسرت

التدخل الروسي... إسقاط الأحادية القطبية

وهذا التدخل العسكري الروسي، أتى ضمن آلية قانونية مشروعة، حدهاها القانون الدولي، من وجود معاهدة مكتوبة بسمية بين البلدين، ومصادق عليها من قبل الشعب، بموجب «استفتاء شعبي».

وقد حافظ الاتحاد السوفياتي، بوجود قواعد عسكرية له في سورية بعد الحرب، بموجب معاهدات فاعية بين البلدين، وتمّ تجديد هذه المعاهدات مع الاتحاد الروسي، وهي تخضع لكآية قانونية، متوافقة مع القانون الدولي.

واتفاقيات الدفاع المشترك، والتي تأتي ضمن نظرية الأمن الجماعي، تقبلها منظمة الأمم المتحدة، إذا لم تخالف نصا وروحية المادة(51) الاممية.

حلف الناتو وفي العادة رقم(5) من ميثاقه يقول: إن الاعتداء على عضو في الحلف هو اعتداء على الجميع، ولهم حق الدفاع المشترك، شرط التزامة بنص المادة(51) العادية.

لكن استراتيجيّة الناتو تقوم على الهجوم وليس على الدفاع، وهي مخالفة صريحة لنص والروحية المادة (51) من ميثاق الأمم المتحدة، وبالتالي مخالفة للقانون الدولي.

القرار الدولي رقم 1373 الصادر بتاريخ28\9\2001 عن مجلس الأمن، سمح بتدخل دولة للدفاع عن أخرى، وفي حالة دفاع الدول عن الولايات المتحدة في حربها في أفغانستان، بعد أحداث 11 ايلول 2001 ضمن نظرية الأمن الجماعي (الاستفتاء الأول).

ب – استفتاء التدخل بناء لدعوة: القانون الدولي يحظر ولا يبيح، لأنّ الدولة هي صاحبة السيادة، لها الحق في إقامة معاهدات دفاع مشترك، ولها الحق بلبأغ وجوبها.

والقانون الدولي يشترط في استفتاء الدعوة، توفر إرادة الشعب، ولهذا الأمر يتوجب إقامة الاستفتاء الشعبي.

قالدولة لها حق طلب التدخل من دولة أخرى، ضمن شروط قانونية هي:

- أن يكون هناك دعوة صريحة بالتدخل، من الدولة الطالبة إلى الدولة المطلوبة.
- أن يكون التدخل مؤقتاً وليس دائماً، لأنّ سيادة الدولة من الشعب.
- أن تحدّد الدولة الطالبة، للدولة المطلوبة، موضوع التدخل، كي لا يصبح تدخلها مفتوحا على كل المباحات.
- وفي حالة التدخل الروسي العسكري القائم حالياً في سورية نلاحظ التالي:
أولاً: أنّه أتى بناء لدعوة من السلطات الرسمية السورية، والمعنية من الشعب، وخطي بإقرار رسمي من البرلمان الاتحادي الروسي.
ثانياً: تمّ تحديد الإطار الزمنيّ للتدخل العسكري الروسي، عبر الإعلان الرسمي للمدة المتوقعة، وعلى لسان السلطات الروسية الرسمية.
ثالثاً: تمّ تحديد موضوع التدخل العسكري الروسي، وهو محاربة الإرهاب، المعتقل في «القاعدة» وأخواتها من التنظيمات الإرهابية.
وعليه يكون التدخل السوري الروسي، قد استوفى الشروط القانونية، لاستفتاء التدخل بناء لدعوة، وبدء العمليات الحربية، وهي مرحلة مكملة لوجود العسكري السابق لمرحلة التدخل.

الاستثناءات غير الكلاسيكية المشروعة لمبدأ عدم التدخل

وهي استثناءات دولية، حديثة المفهوم، تتناول إشكاليات قانونية لم تكن مطروحة سابقاً في القانون الدولي، ومرتبطة بالتطور الإنساني، وآليات هذا التطور، وهي:

- القواعد 2، 3 - التدخل الإنساني، 3 – نظام مكافحة الإرهاب، 4 - موجبات العواملة الجديدة.
- وفي إطار بحثنا، فإنّ فهم القانون المرشّح للتدخل الروسي في سورية، ستعرض لاستثناء عدم التدخل، لنظام مكافحة الإرهاب، وهو استثناء إضافي ملعن من القيادة الروسية.
- استثناء التدخل بموجب نظام مكافحة الإرهاب: إنّ نظام مكافحة الإرهاب، مبني على ريكترين أساسيين:
- الأولى على الاتفاقيات الدولية المتضمنة في مكافحة الإرهاب. والثانية على قرارات مجلس الأمن، المدرجة تحت الفصول السابع، المواد القهرية.
- إنّ الاتفاقية الدولية، لا تتضمن قواعد أمرة ملزمة، ولا تلتزم إلا الدول الموقعة عليها، لكن في القضايا المتعلقة بالإرهاب، هناك اتفاقيات ملزمة للدول يجب قبولها، وتأتي موجباتها تحت الفصل السابع وهي:
- اتفاقية عام (1963) الخاصة بالجرائم والبيض الأفعال الأخرى، المرتكبة على متن الطائرات.
- اتفاقية عام (1970) لمكافحة الاستيلاء غير المشروع على الطائرات.
- اتفاقية عام (1971) لقمع الأعمال غير المشروعة، الموجهة ضدّ سلامة الطيران المدني.

- اتفاقية عام (1973) لمنع الجرائم المرتكبة ضدّ الأشخاص المتعينين بحماية دولية، بمن فيهم الموظفون الدبلوماسيةوس، والمعاقبة عليها.
- اتفاقية عام (1979) لمناهضة أخذ الرهائن.
- اتفاقية عام (1980) للحماية المادية للمواد النوويّة.
- بروتوكول عام (1988) المتعلق بقمع أعمال العنف، غير المشروعة في المطارات التي تخدم الطيران المدني الدولي.
- اتفاقية عام (1988) لقمع الأعمال غير المشروعة، الموجهة ضدّ السلامة الملاحية البحرية.
- بروتوكول عام (1988) بقمع الأعمال غير المشروعة، الموجهة ضدّ سلامة المنشآت الثابتة الموجودة على البحر القاري.
- اتفاقية عام (1991) لتأمين التجمّعات البلاستيكية بغرض كشفها.
- الاتفاقيات الدولية لقمع الهجمات الإرهابية بالتقابل لعام(1997).
- الاتفاقية الدولية لقمع تفويل الإرهاب لعام (1999).
- الاتفاقية الدولية لقمع أعمال الإرهاب النووي لعام (2005).
- اتفاقية عام (2010) لقمع الأفعال غير المشروعة المتعلقة بالطيران المدني العاديات.

تعريف الإرهاب

لقد عرف القانون الدولي الإرهاب بالتالي: «الإرهاب هو كلّ عنف غير قانوني بحق المدنيين، لأجل تحقيق هدف سياسي.»

روسيا وكانهم لم يفعلوا حتى الساعة...!

مصدر رسمي سعودي يصرح لدبي بي سي» البريطانية أنّ حكومته ستزيد من دعمها لثلاث فصائل في سورية هي: «جيش الفتح»، «الجيش الحر» و«أحرار الجنوب»، وستزوّدهم بصواريخ حديثة مضادة للدروع وصواريخ أرض جو مضادة للطائرات... صفقات السلاح الأميركية لدول العالم العربي مشروطة ومقيدة، ممنوع تصديرها أو تسليمها لأطراف خارج البلد المستورد (مقتضيات أمن الكيان الصهيوني) وهذا ينطبق على السعودية وقطر والإمارات والكويت وغيرها، ولا يمكن للسعودية، لخروج عن هذا الإطار إلا بموافقة أميركة، وهو أمر يدركه الروس والأوروبيون، الكيان الصهيوني وحده يستطيع كسر هذه القاعدة دون التعرّض إلى المسألة، فهو من يحاسب القيادة الأميركية وليس العكس، فرنسا وقطر والسعودية وتركيا لم تقصّر في تقديم مثل هذه الأسلحة بموافقة أميركية وتحت رقابة روسية، وهو أمر مؤكّد، الأمر الذي استدعى من الروس تقديم شحنات من أسلحة مقلوبة على وجه السرعة، وإنّ زاد الأمر عن حدها تدخلت روسيا علناً وبوقوة، هل قال بوتين حقاً: إذا سقطت طائرة روسية وقبّت أن قطر هي من سرب السلاح المضادّ فإنّ قطر ستكون هدفاً للصواريخ الباليستية...! ما الذي تملكه قطر؟ في القواعد العسكرية الجوية والبرية الأميركية.... تهديد خطير يرقى إلى مقدمات الحرب الكبرى... وهذا ينطبق على السعودية التي لا شك تعاني من حالة الضياع وبداية الهزيمة في اليمن، السعودية وحلفاؤها يهربدون في أجواء اليمن، لكنهم مهزومون على الأرض...ويقول وزير الخارجية السعودي عادل اشبير: «إنّ لم يتنازل الأسد لعليّ أن ينتظر تدخلاً عسكرياً إسقاطه...» إلا يبعت كلامه هذا على السخريّة والحضك؟

بل لكن أمام ضوابط الحرس الجمهوري اليمني الكثير من الخيارات في مارب، قاموا

بحركة تنكيتكية لتحييد طيران التحالف، فأنسحبوا عسكرياً وبقيت قواتهم على أطراف مارب وكمانّ بدائلها، وعندما دخلتها قوات التحالف وجدت نفسها شبه مطوّقة وفي مواجهة مباشرة وبدات الأليات تنحترق وينساقط الضباط والجنود، هذا ما تتصنّع بها رسالة أخ مناضل من اليمن بعث لي بها وهي التجزية الأولى لقوات الإمارات، وشتآن ما بين خبرتها وخبرة الحرس الجمهوري اليمني، خسر التحالف غطاءه الجوي بسبب الانتحام، وهنا بدأ العويل والصراخ... القيادة الإماراتية ستعيد قراءة التاريخ وتضع عنوانا لواحد من الدروس... اليمن ليست ستكون الضحية الأكبر في أية حرب مقبرة الأعراب... ما الذي دفع الإمارات إلى

هذه الورطة: اليوسا هم الإخوان أنفسه؟ أردوغان الغمطاني ما زال راجحاً رأسه تقوده أحلام الخلافة، وقد وزطه «الإخوان»، هو يقود تركيا إلى حافة الهاوية، والنتيجة أنّ تركيا ستكون الضحية الأكبر في أية حرب كبرى، الرخاء التركي و«صفر مشاكل» لم بعد محاولته طعن قلب هذا العالم، يقول الصادق المناضل بين يبن اليمني: «من ينكر جاحد...»

هامش: يتسلل طيران الولايات المتحدة

من الأجواء التركية فيدمر محطات الكهرباء التي تغذي حلب... أميركا تعاقب أهل حلب، هكذا هي حربها على «داعش» منذ البداية.

والإرهاب جريمة دولية، تمسّ جميع المجتمعات الإنسانية، وتهذّد الاستقرار مثل: الإبادة الجماعية، والجرائم ضدّ الإنسانية.

والإرهاب الدولي، جريمة يعاقب عليها:

- المحاكم الدولية: باعتبارها جريمة دولية.
- مجلس الأمن: باعتبارها تهذّد السلام والأمن الدوليين.
- لا تسقط تعزير الزمن.

إنّ موجبات التدخل الروسي العسكري في سورية، تستند في الشق القانوني، على استثناء التدخل لمحاربة الإرهاب، وخاصة في الاتفاقيات رقم(5) و(10) و(11) و(12) الملزمة للدول بالقبول بها، حيث أنّ موجباتها تأتي تحت الفصل السابع، والواقع انه في المواقف المعلقة من معظم دول العالم، لا يوجد أيّ خلاف قانوني ضمن نظرية محاربة الإرهاب، لا بل هناك ما ينشبه الإزيمة القانونية بوجود محاربهته، ضمن إطار تحالف دولي ملعن، رسمته الإدارة الأميركية في العراق، ورسمته الإدارة الروسية في سورية.

إنّ التدخل الروسي في سورية، أتى ضمن الأطر التي حدهاها القانون الدولي، أكان هذا التدخل من خلال الاستثناءات الكلاسيكية، أم غير الكلاسيكية، وهو يخضع لكآية قانونية ثابتة، من روحية ونصوص ميثاق الأمم المتحدة، ومما هو متعارف ومصادق عليه في العالقات الدولية.

إنّ الاستثناءات المشروعة لمبدأ عدم التدخل، الكلاسيكية وغير الكلاسيكية، والتي أقرها القانون الدولي، قد سمحت وظروف استثنائية وقاهرة، بتجاوز سيادة الدولة.

وفي مثل الوضع السوري، فإنّ التدخل الروسي، قد أتى يطلب من السلطة الرسمية الشرعية المتخفية في سورية، وهو يخضع لأحكام الاتفاقيات العسكرية القائمة منذ عقود من الزمن بين البلدين، وبالتالي فهو تدخل قانوني لا يبسّ السيادة للدولة السورية.

وهو بخلاف التدخل العسكري الأميركي، الخارق للسيادة السورية، كونه لم يأت بطرح رسمي من الدولة، ولم ينشّق معها، وبالتالي يعتبر تدخله عملاً عدوانياً، بخرفه أجواء دولة ذات سيادة.

أمّا مفهوم سيادة الدولة، في عصر النيوعولمة، فقد لمع مفهوماً واضح المعالم والتفاصيل، كونه تعرّض للكثير من الخروقات، خارج إطار قدرة الدولة على التصدي له، أو التحكم به، وفي تاريخ الدولة الوعية، لم تكن السيادة للدولة بالفعال، سيادة مطلقة، ولن تكون: إذا كانت دائماً سيادة نسبية، مشروطة لأوضاع الدولة الجيوبوليتكية والجيوستراسيية.

إنّ نظرية سيادة الدولة الحديثة، هي سيادة مقيدة من الدولة بإرادتها، كونها جزءاً من المجتمع الدولي، تتعاون من أجل استقرار واستمرار السلم والأمن الدوليين.

إنّ معاهدات فيينا الدبلوماسية، منحت الحصانة المطلقة للبعثات الدبلوماسية على أراضي الدول الأخرى، في ظاهرة تقيدّ الدولة لسيادتها المطلقة بإرادتها، على مبدأ المعاملة بالمثل، كونها جزءاً يعيش داخل إطار المجتمع الدولي الكلي.

ثم في عصر النيوعولمة، حيث شكّل مفهوم الخرق لسيادة الدولة، وضِعاً منقهماً من كلّ الأنواع، أكان هذا الخرق ثقافياً، أو اقتصادياً، أو اجتماعياً.

وعليه، فإنّ نظرية السيادة المطلقة للدولة، هي مجرد نظرية، ولا ترقى إلى مستوى مقاربة الواقع الدولي القائم، حتى مع الدول الأكثر قوة في العالم، مثال ذلك إنكتلتر، حيث يوجد فيها قواعد عسكرية، لجيوش الولايات المتحدة الأميركية.

وفي العودة إلى التدخل العسكري الروسي في سورية، المستوفي للشروط القانونية، فإنّه يحمل في طياته، أبعاداً استراتيجيّة أبعد من سورية، فرضتها طبيعة المواجهة الصامتة، بين الولايات المتحدة الأميركية، وبين الاتحاد الروسي، والتي أعادت حقبة الحرب الباردة من جديد.

الحرب الباردة لم تنته

والواقع، أنّ سقوط الاتحاد السوفياتي وخلافاً لما هو سلم به، لم يسقط الحرب الباردة من القاموس الغربي. فالولايات المتحدة واصلت الحرب على روسيا لتتكيفها من الداخل، منعاً لقيام اتحاد سوفياتي آخر في المستقبل، وعلى نظرية «تفكيك الدول الكبرى من حجمها» وهي حاولت دمج روسيا في الاقتصاد العالمي، وعقدت معها اتفاقيات لخفض الأسلحة النووية، وحاولت ضيقها، بعدم اعترافها على تمدّد الأراضي إلى جورجيا وأوكرانيا، وبعدم اعترافها على سياستها في الشرق الأوسط، أيّ أن الولايات المتحدة الأميركية، حاولت جعل روسيا جمهورية من جمهوريات دول البلطيق، بعد أنّ كانت الدولة العالمية العظمية.

إنّ التدخل العسكري الروسي في سورية، هو بداية تشكل نظام دولي جديد، سوف يبضغ إلى العديد من الدول والقوى الدولية الفاعلة، في حركة صراع مع الرأسمالية العالمية، على مناطق النفوذ الجيوسياسي، في عالم متعدّد الأقطاب. إنّ التبدّل الاستراتيجي لتوازن القوى الدولية، من أحادية قطبية، إلى تعددية قطبية، لم يستطع القوى الفاعلة الغربية، لكنها أسقطت أحاديثها الدولية، وشكلت إدارة عالمية جديدة، تستظهر نتائجها ليس في فرض كل سياسي في سورية فقط، إنما في فرض شراكة لقوى أخرى، تساهم في معالجة معظم الصراعات الدولية العقبلة، بعد أنّ كانت قد استبدعت من المسرح الدولي، لهيمته قوى أخرى عليها.

إنّ التدخل العسكري الروسي في سورية، هو أبعد من التدخل العسكري سوف يبضغ إلى العديد من الدول والقوى الدولية الفاعلة، في حركة صراع مع الرأسمالية العالمية، على مناطق النفوذ الجيوسياسي، في عالم متعدّد الأقطاب. إنّ التبدّل الاستراتيجي لتوازن القوى الدولية، من أحادية قطبية، إلى تعددية قطبية، لم يستطع القوى الفاعلة الغربية، لكنها أسقطت أحاديثها القطبية الدولية العقبلة، بعد أنّ كانت قد استبدعت من المسرح الدولي، لهيمته قوى أخرى عليها. إنّ تشكل نظام عالمي جديد، بعيد التوازن العالمي المقفود، ضمن احترام حق الشعوب، واحترام النظم القانونية الدولية، يمثل إسهاماً في تطبيق روحية ونصوص ميثاق الأمم المتحدة، في حفظ السلام والأمن الدوليين.

وكما شوّع الحرف من سورية نورا إلى العالم، سوف ينشغ منها فجر جديد، ولو أنّ الليل طويل.